النقد التاريخي

« وعروبة آل معروف »

—* —

نقل المؤرخ الاستاذ فيليب حتي في كتابه عن الدروز جميع ماخلط الخالطون من افرنج وغيرهم في اصل هذه الفرقة وجرى هو نفسه مجرى بعض مؤرخي الافرنج ولم يردّ تعليلاتهم الكثيرة التي لا تزيدها كثرتها الا فراغاً والتي يسمتها الكبري وعلامتها الفارقة ان يجتهد المؤرخ بكل قدرته في الإتيان برأي طريف لم يكن موجوداً والاطلال على عالم العلم بنظرية جديدة غير مسبوقة .

ولعمري حسنٌ جداً ان يدقق المؤرخ في كل رأي يطلع عليه وان لا يقبله بالغاً ما بلغ من الشهرة الا بعد تمحيص تطمئن به نفسه وتحقيق يصل به الى برد اليقين . ولكن قبيح جداً ومضرٌّ بالعلم جداً ومغرّر بالمتعلمين ان تدور جميع اجتهادات الباحث حول نقطة الإتيان ببدع والسبق الى رأي لم يقل به احد او تقوية رأي ضعيف .

مخالف لشروط العلم على الإطلاق ان يتعمّد الباحث المستطلع مخالفة الرأي المشهور لانه مشهور ومحاولة كسب الشهرة باحداث رأي جديد يقوم مقام القديم . قد تقع هذه الامور موقع القبول في الازياء والألبسة والمساكن والمطاعم والمشارب وغيرها من ضروب المعيشة وترتاح الانفس الى التغيير وتتلذذ بالمعاقبة والمداولة وتملّ من الشكل الواحد بدون انقطاع وتسأم الذوق الواحد بلا تنوع ولا تصرف وكل هذا معقول ومقبول وطبيعي وبشري ولكنه لا يجوز في الحقائق العلمية . حقيقةٌ من الحقائق التاريخية مثلاً تكون مقرّرة على وجه من الوجوه بعد استيفاء شرائط البحث فيها وانطباقها على المتواتر بين الناس والمنقول من الخلف عن السلف والمأثور في الكتب المعهود باصحابها الاطلاع وتأيدها بالقرائن القوية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كالسجن والاخلاق والعادات والمذاهب والمشارب ونأتي فننعمد نقضها تعمداً او نحاول ان ننقصها من أطرافها تحكماً لمجرد ملمنا من تواتر القول بها وتبرمنا بتوالي الخلق على نقلها او لاجل الاتصاف بسلامة الاختراع واحراز شهرة الابتداع. هذا خلق لايجوز في العلماء ولايحسن ان يفشوَ في دوائر العلم. فالاختراع جميل في الطبيعيا والكيمياء والعلوم المادية. والتسابق في ميدان التغيير والتنويع والتنافس في الإتيان بالشيء الذي لم يعهده الناس من قبل كل هذا لذيذ ومفيد وقد يكون ضرورياً لاجل المجتمع الانساني. ولكن اختراع الآراء التاريخية حباً بجدة الآراء والبحث عن خبر جديد نأتي به ولو لم يركب في عقل ولا نقل ونؤ بده ولو كان متداعياً بمجرد اللمح كل هذا ولوعاً منا بالإطراف والإبداع هذا جناية على العلم.

ولست أقصد بهذا الوصف كتاب الاستاذ حتي الذي ليس له فيه شيء من هذه الآماد البعيدة في حب الطرافة. وانما اقصد بعض الشرقيين الذين أولعوا بهذا المشرب السقيم زاعمين انه منزع تحقيق سار عليه علماء الافرنج وانهم انما يقلدونهم فيه. وانا أحذر الدكتور حتي من ان يسلك هذا الشعب السحيق الذي يجل عن مثله. فمنزع التحقيق هو منزع التحقيق وافق الرأي القديم ام خالفه لايبالي بما يجيء في طريقه. وانما الذي نحذر الناس من التهافت عليه هو منزع الإغراب حباً بالشهرة وتعمداً لمخالفة الجمهور وجعل «التحقيق» مرادفاً «للإغراب» والحال انه ليس التحقيق إغراباً ولا الإغراب تحقيقاً. فان الاغراب هو ان يأتي الانسان بامر غريب قد يكون صحيحاً في نفسه وقد يكون خطأ او كذباً. وان التحقيق هو ان ينصح الانسان جهد طاقته و ينتهي في البحث الى الغاية فإما ان يصل الى تأييد ما كان مقرراً سابقاً واما ان يصل الى نقضه واما ان لا تطمئن نفسه الى القديم ولكنه لايجد من الأدلة مايكفي لهدمه فيختار الوقوف. وليس الوقوف بعيب اذا لم تتوافر الأدلة ولم تُعد القطع وانما العيب هو القول بلا علم والجزم بدون جازم والهجوم بدون سلاح.

واما ان الافرنج إجمالاً يحبون هذا المشرب الشاذ فليس بصحيح. فالافرنج كالشرقيين فيهم المحقق المحص الذي اذا استوفى البحث شروط الصحة جديداً كان الحق ام قديماً اخذ به وعوّل عليه. وفيهم المولع بالإبداع والإطراف ولو كان إبداعه واهياً وإطرافه سخيفاً. ولقد اتسعت مدنيتهم وتشعبت ثقافتهم الى حد ان كثرت عندهم الغرائب وفشا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الشذوذ وملوا النظريات القديمة بصرف النظر عن صحتها وعدم صحتهـا . ولكن العلماء المحققين منهم لا يزالون يميزون بين الصحيح والفاسد من المباحث واذا جاء مؤلف او مؤلفون فكتبوا ماينفي وجود المسيح مثلاً لم يتلقوا أدلتهم بالتسليم لمجرد انهم أتوا بادلة وقرائن وامائر واشارات تجعل لهذا القول وجهاً ، بل وزنوا بينها وبين الأدلة والقرائن والنصوص الواردة على مجيء المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فوجدوا أدلة الايجاب أمتن جداً من أدلة النفي وحكموا بان مجيء المسيح حقيقة وعلموا انه اذا كان الحكم للمرجوح على الراجح بطل التاريخ وارتفع العلم من الارض .

فأما مايكثر فيه خلط الافرنج الى الحد الذي لا يتصوره العقل احياناً وما يبلغون منه الدرجة التي تضحك وقد تبكي وقد تثير الغضب ومن اي الجهات جاءها الانسان وجدها مصيبة من المصائب — فهو كلام الافرنج عن الشرقيين : ولا اقول اني قرأت كل ما كتب الاوربيون عن الشرق والشرقيين وأحطت بهذه المسألة علماً ولا احد يقدر ان يدعي هذه الإحاطة .

ولكني قرأت بدون شك في هذا الباب مايندر ان يكون تيسر مثله لغيري وصار لي الحق في ان أدلي برأيي في هذه المسألة . فأقول ان خلط الغربيين في كلامهم عن الشرقيين زائد جداً و يكاد يكون عاماً لمؤلفيهم الى انه صار الاسترسال الى أقوالهم في احوال الشرق والشرقيين عبثاً . ولقائل ان يقول : اني أراك مبالغاً او جائراً في الحكم أفهؤلاء العلماء المنقبون الذين فتحوا مغلقات الألسن الشرقية القديمة وحلوا طلسمات الآثار العتيقة التي كان الشرقيون لا يعرفون منها شيئاً وأفاضوا أشعة تحقيقاتهم على التاريخ القديم سواء عن مصر او عن فلسطين او عن فينيقية او عن جزيرة العرب او عن بابل ونينوى الى غير ذلك حتى جلوا منه تلك الصفحات التي لم يكن شرقي يعرفها من قبلهم — تعدهم انت من الخلاطين الذين لا يؤخذ بكلامهم ولا يوثق بسبيل أقلامهم ! فأجيب على ذلك : حاشا ان أقصد ذلك فيما يتعلق بالتواريخ القديمة والخطوط الهيروغليفية والمسمارية والآثار الحفرية التي صارت فناً من الفنون اتقنه الافرنج وكشفوا به مخبآت عظيمة واضاءوا به ظلمات من التاريخ الشرقي لا شبهة فيها . ولكني أقصد ذلك فيما يتعلق بتواريخنا العصرية واحوالنا الاجتماعية ومانعرفه نحن جيداً ونقدر ان نميز به الصحيح من الفاسد وما هو واقع تحت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حواسنا اومتواتر خبره عندنا · ففي هذه الامور نجد خلط المؤلفين الاوربيين بحراً عباباً وعجباً عجاباً ونجد المعصوم منهم أقلهم خلطاً وأندرهم خبطاً · ولعلهم يخبطون ايضاً في مباحثهم عن اللغات والخطوط الشرقية القديمة ويخطئون في نتائج تنقيباتهم عن الآثار الحفرية الاركيولوجية في كثير من الامور الا اننا في هذه قل من يقدر منا ان يجاذبهم الحبل و يقنعهم بخطإهم لانهـا علو قديمة عادية دهرية استوى أمامها الشرقي والغربي وصارت بعيدة عن الجميع لنأيها في ظلمات القدم فلم يزد الشرقي بها علماً كون تلك الآثار هي في بلاده اذ كانت نسبتها من آلاف من السنين قد انقطعت وعلاقتها بالحاضر كادت تكون معدومة · فصار الاوربيون اعرف بها من الشرقيين ولو كان هؤلاء جيرانهـا لان مدنيتهم صارت ارقى من مدنية الشرقيين · ولما كانت المدنية تقتضي البحث والاستطلاع كانوا هم اجدّ وانهض للبحث وارغب في التنقيب واملك لوسائله · فعلى كل حال اصبحنـا لا نقدر ان نجاريهم في هذا المضمار وان وجد منا من يعرف هذه العلوم فيكون قد اخذها عنهم وتخرج فيها عليهم ·

ولكن ليس الشأن كذلك في التاريخ الاسلامي مثلاً لاننا نملك من وسائل معرفته تواتراً ونقلاً وخطوطاً ونقوشاً وآثاراً مالا نحتاج فيـه اليهم بل ما لا يملكونه هم ثم لاننا عائشون في نتمته مندمجون في ضمنه نقدر ان نفهم منه مالا يفهمه الغرباء عنا مهما اجتهدوا في تفهّم تاريخنا · وليس الشأن كذلك في امورنا الاجتماعية وخططنا الجغرافية وأحوالنا الاحصائية التي نحن بها أدرى من الغريب لاننا نشاهدها كل يوم ونعرف منها مالا يعرفه الاوربي وان علا كعبه في العلم · فاذا ضلّ الاوربي في ظلمات تاريخ الشرق القديم فلا نحسن ان نردّه الى الصواب كما اذا ضلّ في تاريخ الحقب التي بعد الاسلام او اذا أخطأ في أوصاف الحالات التي نحن عليها الآن ·

ففي هذه نحن نملك من أسباب العلم ما يحصل لنا به برد اليقين ونقـدر ان نبين الحق من الباطل ونفرق بين الحالي والعاطل · ومن جراء هذا نقضي العجب العجاب من شطط اكثر الاوربيين الذين يتكلمون عنا ومن تعسفهم الطرق ومن بنـائهم على التخيلات والتخرصات ومن تعلقهم باسباب واهية يخرجون منها الى إطلاقات عجيبة غريبة ومن أخذهم بمقدمات غير ثابتة ومن افضائهم منها الى نتائج فظيعة · وقد ثبت لنا بهذا ان الراقي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في العلم لا يمكنه ان يكون راقياً في كل علم وان الاعتقاد باحاطته ضرب من الجنون .

ويجوز ان يكون الاوربي اليوم في ثقافته ارقى من الشرقي على وجه الإجمال لكن هذا لا يستلزم ان يكون أعلم من الشرقي في كل شيء ولا ان يكون اعلم من الشرقي بنفسه . ومن هنا جاء خطأ بعض الشرقيين الفظيع في تقديس معارف الغربي في كل شيء وتلقي كل مايحكم به قضايا مسلمة حتى فيما هو نفسه لا يدعي فيه العصمة وحتى فيما هو نفسه يدعو الناس الى ان يصححوا كلامه . فتجدهم يكابرون انفسهم فيما هو واقع تحت حواسهم نظراً لكون احد مؤلفي الافرنجة قال خلاف ذلك .

وبعد هذه المقدمة أقول ان كثيرين من كتّاب الافرنج هم منشئون او ممن تسهل عليهم الكتابة في موضوع اجتماعي اوسياسي او في رحلة الى بلد من البلدان يصف بها الافرنجي مارآه ومارتسم في مخيلته . ولكن ليس كل كاتب منهم عالماً ولا محققاً ولا متخصصاً في الفن الذي يكتب فيه . والحال اننا نحن الشرقيين قد تلقينا كل افرنجي تقريباً عالماً وصرنا نستشهد باقواله . ثم تلقينا كل عالم منهم متخصصاً حتى لو كان مقتصراً على مجرد المشاركة في الفن الذي استشهدنا فيه بكلامه . ثم تلقينا كل متخصص منهم معصوماً وقلنا لاسمه السجود . فهذا كله عبث وغير لائق بالعلم بل ضلال واضلال لا يغتفران . فالناس يجب ان ينظروا الى القول لا الى القائل ، وماذا يهمني القائل اذا كان افرنجياً وانا أرى خبصه بعيني وألمس خلطه بيدي ؟ أأجعل كل كاتب من الافرنج عالماً وكل عالم عبارة عن انسيكلوبيديا وسعت كل شيء علماً وكل انسيكلوبيديا معصومة من الخطإ تنزيلاً من حكيم حميد ؟ لقد قرأنا الانسيكلوبيديا الاسلامية — التي لم تتم — ووجدناها من أنفع الكتب وهي محررة باقلام نخبة من المستشرقين الذين هم أعرف الافرنج بامور الشرق والعالم الاسلامي لكننا عندما عرجنا فيها على الموضوعات التي نقدر ان نفرق فيها بين الحق والباطل رأينا فيها خطأ كثيراً .

واذا جئنا نستشهد على خطإهم في الكلام علينا وعلى الشرق أجمع حفيت الأقلام وضاقت بالشواهد الأجلاد الضخام . ولا يسلم من هذا العثار في امور الشرق احد من مؤلفيهم ولو بلغ من العلم ارفع الدرجات . وقد يقال لي : أفترى الشرقيين في امور الشرق أسد منهم رأياً وأصح معلومات ؟ فأجاوب :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اولاً ان غلط الشرقي سهل تداركه لانك بمجرد ما تقول للشرقي القاريء ان فلاناً الشرقي المؤلف اخطأ في كذا تلقى كلامك بالقبول او بالميل الى القبول وذلك لانه متهافت بطبيعته على تصديق مايعزى من الخطإ الى ابن وطنه اوجلدته . فأما اذا قلت له ان المؤلف الافرنجي فلاناً اخطأ لم يمكنك ان تقنعه بسهولة . وان كان الافرنجي المؤلف مشهوراً لم تجرّ الشرقي الى التسليم بخطإه لابجمال ولا برجال . وما هذا الا لما وقر في صدور الشرقيين من تقديس علم الافرنج والمبالغة في تنزيههم عن الخطإ حتى في الامور التي نحن أدرى منهم بها فعلاً . واقول ثانياً ان الشرقيين في تاريخ الشرق بعد الاسلام أدرى وزكن من الغربيين بلا نزاع .

كثير من المؤلفين الاوربيين اذا عثر على حادثة واحدة جرّد منهـا قاعدة ! فاذا اتسق له العثور على حادثتين او ثلاث ظن انه اختزن الحقائق كلها في جيبه . والحال ان الجزئيات لابد من ان تبلغ عدداً لا يكاد يحصى حتى تتجرد منها قاعدة كلية . فاذا تساوت الجزئيات في السلب والايجاب لم يمكن تجريد قاعدة كلية منها وتحتم الوقوف حتى تبرز الحقيقة بوجه من الوجوه اذ يكاد يكون من المستحيل خفاء الحقيقة الى الابد . وعلى كل حال الواقعة الواحدة والاثنتان والثلاث لايبنى عليها حكم ولا يستنبط منهـا من العلم الا بقدرها . وهذا مالا يريد الافرنجي ان يفهمه اذا خاض في معامع البحث عن الشرق . فهو كلما وقع على حدث حاول ان يستخرج وان يستنتج وسبح في بحر الخيال . وصل الى نتائج ما أنزل الله بها من سلطان .

وعند الاولاد لعبة يسمونها « الغمّيضاء » يعصبون عيني احدهم ويتخبأون كل واحد في زاوية ويدور هو والعصابة على عينيه فيبحث عنهم بيده ويتلمّس من هنا ومن هنـاك حتى يعثر على احدهم . وكثيراً ما تقع يده على حجر اوشجر اومتـاع من الامتعة او حيوان مربوط فيظن انه امسك واحداً من رفاقه المتخبئين ويهتف صائحاً : هوذا انا قدامسكتك ! ولا يكون امسك احداً . وهذا النفر من الافرنج يبحث عن قضية لا تتجلى له فاذا لاحت له لائحة مهما كانت ضعيفة ظن انه قبض على مفتاح السر فيها وهتف : قد انكشف لي المغلق . او كلما رأى شعباً من الشعاب اعتقد انه هو الطريق المؤدية الى المقصد وصاح : هذه هي المحجة !

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكم مؤلف منهم يبني تاريخاً طويلاً عريضاً على لفظة . وقد تكون محرفة او مصحفة او مصادفة . فهل يبني العاقل تاريخاً على مجرد كلمة ؟ يأتي افرنجي فيقول مثلاً ان الدروز هم من بقايا الصليبيين وان اسمهم مشتق من اسم الكونت «درو[1]» Dreux الذي كان من غزاة الصليبيين ونحن ننشر هذه السخافة ونرفع هذا الرأي الى درجة الآراء ولا نبالي باضاعة وقت الناس في اقرائهم سخافات كهذه ... ويا ليت شعري ماذا وجد في الدروز مما يشبه الافرنج الصليبيين أسحنهم ام الوانهم ام تركيب رؤوسهم ام اخلاقهم ام عاداتهم ام لفظهم بالعربي الفصيح الذي لا يساويهم فيه احد من جميع سكان سورية ؟ وكيف امكن ان يتحولوا هذا التحول العظيم من افرنج صليبيين الى عرب اقحاح ؟ ومتى وقع هذا التحول واين وأنّى وهل كان الدروز موضوعين في علبة او في صندوق محكم الاقفال حتى تحولوا من افرنج الى عرب وهم بهذه السواحل الشامية وعرضة للتفتيش والبحث والنظر ولم يشعر بذلك احد من سكان هذه السواحل لا من مسلمين ولا من نصارى ولا من يهود . والدروز مع ذلك مختلطون بجميع هذه الطوائف ومساكنون لهم لا تقع عندهم صغيرة ولا كبيرة الا كان خبرها عند جيرانهم والمقيمين من هاتيك الطوائف بين اظهرهم . ومما لا مرية فيه ان تحول قوم من الاقوام عن جنسيتهم ولغتهم وعاداتهم واخلاقهم واندماجهم في أمة أخرى يقتضي اوقاتاً وآماداً متطاولة ولا يحصل في زمن قصير فكيف جرى هذا الحادث العجيب الذي لا يتم الا في القرون بدون ان يشير اليه مؤرخو الاسلام ولا مؤرخو الافرنج انفسهم ولا مؤرخو الموارنة الذين هم اكثر الطوائف اللبنانية اختلاطاً بالدروز . فلا ابن الاثير ولا ابن خلدون ولا ياقوت الحموي ولا ابو الفداء ولا ابن عساكر ولا الذهبي ولا ابو شامة صاحب الروضتين ولا ابن شداد ولا ابن العديم ولا ابن خلكان ولا ابن قاضي شهبة ولا العمري ولا شمس الدين ابن طولون ولا الصلاح الصفدي ولا النجم الغزي ولا شيخ الربوة ولا المحبي ولا احد ممن كتبوا عن سورية اشار الى حادث كهذا مع انهم نقبوا عما هو اصغر منها كثيراً . واغرب من هذا ان مؤرخي لبنان الذي فيه الدروز لم يشموا أدنى رائحة لامر كهذا فلا السمعاني ولا الحاقلاني ولا جبرائيل القلاعي ولا الدوبهي ولا ابن اسباط ولا صالح بن يحيى ولا الصفدي مؤرخ الامير فخر الدين بن معن ولا طنوس الشدياق ولا بطرس البستاني ولا غيرهم ذكر ان الدروز هم من بقايا الصليبيين او انهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

منسوبون الى الكونت دروا (١) .

فاذا كانت المشابهة في لفظة واحدة تجعلنا نقلب التاريخ رأساً على عقب ونضرب صفحاً عن جميع تلك الادلة المحسوسة فماذا أبقينا للعوام من الشرقيين والجهلاء من الحشوة الذين يقولون لك ان اسم حلب الشهباء اصله ان ابراهيم الخليل كانت له بقرة شهباء يحلبها ويجود بلبنها على الفقراء فيجتمعون عليه واذا حلبها قالوا : حلب الشهباء . فمن هنا جاء اسم حلب الشهباء ! او ان طبرية اصلها من ان ملكاً كان عنده ابنة اسمها « ريّا » وكانت عليلة فأرسلها تستحم في الماء السخن الذي على شاطئ بحيرة الجليل فنالت الشفاء فقالوا : طابت ريّا . ومن هناك جاء اسم طبرية ! او ان حاصبيا اصلها من ان فتاة رأت اباها قد حار في امره فأخذت تعول وتقول : حاص أبّا . فصارت حاصبيا وهلم جرّاً . ولم ينحصر هذا البناء على مجرد المشابهة في اللفظ في العوام وحدهم بل تجد منه عند الخواص ايضاً او عند من يصح ان يقال لهم « عوام الخواص » لان في الخواص عوام ايضاً .

ففي جبل لبنان يروون ان اسم « الشوف » مشتق من كلمة «شُفْ» فعل امر من « شاف » اي رأى بحسب لغة العامة . وذلك بزعمهم ان الجد الاعلى للامراء المعنيين

---

(١) من عادتي اني اذا عربت عن الافرنجية كلة فيها eu كلفظة Dreux مثلاً أعربها بالواو وأضع فوق الواو الفاً صغيرة لانها بالافرنجية واو مائلة الى الفتح . واذا كانت لفظة فيها u كلفظة Rhur مثلاً او Ziurich أعربها بالواو وأضع فوق هذه الواو ياءً صغيرة لانها واو مشوبة بياء كما يعرف ذلك من يعلم اللغات الاوربية . وان كانت لفظة فيها واو شديدة الضم اي هكذا ou كما لو قلت Atnfou او Toulon مثلاً أكتبها هكذا « طوُلون » مع واو صغيرة فوق الواو . واما الواو التي في مثل Rome و Lausanne مثلاً فأعربها بالواو المعتادة هكذا «رومة» و «لوزان» وهذا التفريق بين الواوات الافرنجية مهم لانها اربعة أشكال كل منها يلفظه الافرنج بشكل خاص فواو طولون الاولى غير واو رومة . وواو لوزان غير واو مونترو . وواو زوريخ غير واو مونترو وغير واو لوزان . وعليه لزم ان يجعل لها فوارق في العربي حتى تلفظ بالعربي كما تلفظ بالافرنجي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عندما قدم الى جبل لبنان يريد ان يتخذ منه محلاً لنزوله كانت الجهات التي تسمى اليوم بالشوف الحيطي والشوف السويجاني — واصلها الشو يزاني — خراباً فجاء الامير المعني الى عبيه من ناحية غرب لبنان نزيلاً على الامير التنوخي واستشاره في المكان الذي يوافق نزوله فيه فيقال ان الامير التنوخي صعد به الى الجبل الذي فوق عبيه الذي يقال له « المطيَّر » والذي منه تظهر من الجهة الشرقية بعقلين ونواحيهـا ودلَّه باصبعه قائلاً له « شُف » فصارت «شوف » .

وما أرى شيئاً من هذا وانما ارى اللفظة آرامية او فينقية معناها « الاجرد» لان جميع صرود لبنان يقال لها « الجُرد » بضم الجيم جمع أجرد . ويجوز ان تكون هكذا بالعربية ايضاً لان فعل «شاف» معناه بالعربي جلا وصقل و «الشَوْف» بفتح اوله هو الجلو والصقل وكله يتضمن معنى «الجَرْد» بفتح اوله . فالجَرد في العربي هو قشر العود اونزع الشعر ومكان جَرد لانبات فيه . وكذلك المكان الجَرد بفتح اوله وكسر ثانيه الذي لانبات فيه . وايضاً المكان الاجرد الذي لانبات فيه وجمعه «الجُرد» بضم اوله كما يتلفظ به اهل كسروان والمتن والغرب والشوف جميعاً . والجرّاد هو الذي يجلو آنية النحاس اي المعروف عند العامة « بالمبيّض » فأنت ترى ان الجرد والصقل والجلو كله بمعنى واحد ولذلك يكون «الشوف» بمعنى «الجرد» واذا رأى الانسان من بعيد رؤوس تلك الجبال وأسنادها وجدها جرداء صلعاء كأنها مجلوّة . وهذا هو الاقرب في اصل هذه اللفظة . وفي الافرنسية لفظة Chauve « شوف» هي بهذا المعنى ايضاً اي أصلع .

ومن هذا الضرب مايقولون في مدينة حماه عن محلة اسمها « الحاضر » فيها مساكن الاشراف بني الكيلاني . فيروون انه لما قدم جدهم من العراق مختاراً الاقامة بحماه أشار عليه ملك تلك البلدة بالنزول في المكان الذي يقال له « الحاضر » في الوقت الحاضر وقال له « هذا الحاضر » اي اسم فاعل من حضر ضد غاب . اي انزل بهذا المكان فهذا الذي يحضرنا الآن وفيما بعد نفكر . وهذا كلام عامي ، والاصح ان الحاضر كان من قديم الزمان محلة عامرة بحماة وهو اسم فاعل من الحضارة لا من الحضور . والحاضر في اللغة الحي العظيم . وقال الجوهري : هو جمع كما يقال سامر للسمّار وحاج للحجاج ومنه « كان ينام خارجاً عن حاضره وكان الحاضر اذا أتاهم الفزع صاحوا » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
- www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي حلب حاضر ايضاً كما في حماه . ولكن حاضر حلب قد صار اليوم خراباً . واما حاضر حماه فقد قال فيه ياقوت الحموي : « وبظاهر السور حاضر كبير جداً فيه اسواق كثيرة وجامع مفرد مشرف على نهر ا المعروف بالعاصي » الى ان يقول : « ويقال لهذا الحاضر السوق الاسفل لانه منحط عن المدينة ويسمون المسوَّر بالسوق الاعلى » .

ومن هذا القبيل تأويل عامي رأيته في «صبح الاعشى» مع فضل صاحبه وسعة اطلاعه ولكن علماءنا في الأغلب لا يخرجون عن دائرة العربية فكل مغلق يفسرونه بها . وهذا التأويل الغريب في صبح الاعشى هو قوله ان لفظة «تركمان» اصلها « ترك ايمان » لان الترك تركوا دينهم القديم وأسلم منهم مائتا الف في يوم واحد . فجعل لفظة « ترك » من فعل «ترك» العربي وهو غريب جداً . وجعل لفظة «مان» محرفة عن «ايمان» وهو لا يقل عنه غرابة ولم يفكر في ان تلك الامة لها لغتها القديمة ولها الفاظها وان الفاظها لا تؤوَّل بالعربية وان معنى «مان» Mann باللغات الآرية هو رجل وان هذا الاسم «تركمان» اي رجل تركي قد يكون اطلق عليهم في فارس ولا يوجد منزلقة مدحاض في العلم اكثر من تشابه الالفاظ لانها تتشابه كثيراً بين لغات مختلفة وفي وسط اللغة الواحدة . فاذا أردنا ان نستخرج من تشابه كل لفظتين تاريخاً لم نعرف الى اية سخافة بعيدة يؤدي بنا ذلك . وقد سمعت ان ادبياً تركياً نشر في الاستانة مقالة يزعم فيها ان التورانيين اي الاتراك كانوا من قديم الدهر في سورية وفي فينيقية واستدل على ذلك بلفظة «ارواد» اسم هذه الجزيرة التي هي قصد طرابلس . وقال : هذه محرفة عن «اروات» واروات محرفة عن « اورَت» او «عورَت» وهي « المرأة » بالتركي . ومن هنا تحقق ان هذه البلدان كانت تركية ! حقاً ان هذه من أعاجيب العصر . وهي لا تقل في الغرابة عن كون الدروز أصلهم من الافرنج الصليبيين بدليل انه وجد في الصليبيين من اسمه « دروا » .

ومن أهم واجبات العالم ان لا يتهافت على الاخذ باول دليل والحكم بموجبه فقد يضل ضلالاً بعيداً وينده او يصبح سخرة ومضغة في الافواه . وهذا مما يقع فيه مؤلفو الافرنج كثيراً عندما يتكلمون عن العرب والشرقيين . وسترى انهم خلطوا بين نوخ ونوخ من جراء اتحاد الاسم . وتابعهم في ذلك الاستاذ حتي . وظنوا جميعاً ان الامراء النوخيين أمراء الدروز في لبنان هم من نوخ القبيلة المؤلفة من ثلاث قبائل التي يقال انها تحالفت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على المقام بمكان بالشام او على «التنخ» وهو الاقامة بالمكان فجاء من ذلك اسمها « تنوخ » وقد قيل فيها انها نزار وأسد وغطفان . وقيل بل هي الضجاعمة ودوس الذين تتنوخوا بالبحرين . وذهب ابو الفداء الى انهم من جرم واسمه علاف بن زبان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة من العرب القحطانية . ونقل علي ظريف الاعظمي البغدادي في كتابه « تاريخ ملوك الحيرة » ان تنوخ فرع من قضاعة من القحطانيين هاجروا من اليمن مع من هاجر من اليمانيين بعد انفجار سد مأرب مما سموه سيل العرم وذلك في أوائل القرن الثاني للميلاد ونزلوا البحرين وزعيمهم يومئذ مالك بن فهم بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب ابن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة . قال : ولما نزل بنو قضاعة بالبحرين نزل معهم الأزد مهاجرين ايضاً وزعيمهم مالك بن فهم بن غانم والتفت حولهم القبائل اليمانية من بطون غارة بن لخم وغيرهم من بني قحطان . ووافق خروج هذه القبائل اليمانية خروج قبائل من ولد اسماعيل فرقتهم الحروب فلجأوا الى البحرين وانضموا الى اليمانيين . ولما اجتمعوا بالبحرين اتفق الزعيمان زعيم قضاعة وزعيم الأزد على التعاضد والتناصر وتحالفوا على التنوخ اي المقام فسموا تنوخاً من ذلك الحين الى آخر ما قال .

والحاصل ان مؤرخينا اتفقوا على قصة «التنوخ» هذه مما يطول بنا استقصاء رواياته واتفقوا ايضاً على ان قضاعة من قبائل تنوخ هاجرت من البحرين الى العراق وذكروا ان مالك بن فهم زعيم قضاعة صار ملكاً على العراق وتسمت دولته بدولة آل تنوخ واستمرت نحو ١٣٠ سنة واستفحل شأنها كثيراً في زمن جذيمة بن مالك بن فهم الملقب بجذيمة الوضاح عدو الزباء ابنة عمرو بن الظرب بن حسان العملقي ملك الجزيرة ومشارف الشام . وانه بعد ان غدرت الزباء بجذيمة وقتلته اخذاً بثأر ابيها انتقل ملك الحيرة من آل تنوخ الى آل لخم لان جذيمة لم يعقب ولداً فورثه في الملك ابن أخته عمرو بن عدي اللخمي وكانت لاعقابه دولة من أعظم دول العرب اسمها دولة المناذرة . وعظمت الحيرة في زمانهم كثيراً . وقد انقرضت هذه الدولة بظهور الاسلام وفتح خالد بن الوليد للحيرة . وجملة ملوك الحيرة ٢٤ ملكاً منهم ثلاثة من التنوخيين وستة عشر من اللخميين وخمسة من الدخلاء الذين كان يوليهم الاكاسرة من وقت الى آخر في اثناء غضبهم على اللخميين ومدة الجميع ٤٩٤ سنة .

وقد ثبت انه بعد زوال ملك المناذرة هاجرت أفخاذ من تنوخ ولخم الى الشام واوطنت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
- www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الجهات الشمالية من سورية كالمعرة وقنسرين واللاذقية وكان الغالب عليهم النصرانية . ثم اخذوا يدخلون في الاسلام . وجاء في «فتوح البلدان» للبلاذري وهو من أوثق ما ألف في فتوحات الاسلام يروي عن ثقات حدثني العهد بالفتح ان اباعبيدة بن الجراح بعد فراغه من ارض اليرموك سار الى حمص فاستقراها . ثم الى قنسرين وعلى مقدمته خالد بن الوليد فقاتله أهل مدينة قنسرين ثم لجأوا الى حصنهم وطلبوا الصلح فصالحهم ابوعبيدة على مثل صلح حمص وغلب المسلمون على ارضها وقراها وكان حاضر قنسرين (اي المدينة) لتنوخ منذ اول ما نخوا بالشام نزلوه وهم في خيم الشعر ثم ابتنوا به المنازل . فدعاهم ابوعبيدة الى الاسلام فأسلم بعضهم وأقام على النصرانية بنو سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة . فحدثني بعض ولد يزيد بن حنين الطائي الانطاكي من أشياخهم ان جماعة من اهل ذلك الحاضر أسلموا في خلافة امير المؤمنين المهدي (خلافة المهدي من ١٥٨ الى ١٦٩) فكتب على أيديهم بالخضرة قنسرين » .

ثم ذكر البلاذري نقلاً عن هشام بن عمار الدمشقي عن يحيى بن حمزة عن ابي عبدالعزيز عن عبادة بن نسي عن عبدالرحمن بن غنم ان هذا قال انهم رابطوا مدينة قنسرين مع السمط او قال شرحبيل بن السمط فلما فتحها أصاب فيها غنماً وبقراً فقسمها فيهم وجعل بقيتها في المغنم وكان حاضر طيء قديماً نزلوه بعد حرب الفساد التي كانت بينهم حين نزلوا الجبلين (أظنه يريد أجأ وسلمى جبلي طيء) من نزل منهم وتفرق باقوهم في البلاد فلما ورد ابوعبيدة عليهم أسلم بعضهم وصالح كثير منهم على الجزية . ثم اسلموا بعد ذلك بيسير الا من شذ عن جماعتهم . وكان بقرب مدينة حلب (وهذا الذي سبق لنا الكلام عليه) حاضر يدعى حاضر حلب تجمع اصنافاً من العرب من تنوخ وغيرهم فصالحهم ابو عبيدة على الجزية ثم انهم أسلموا بعد ذلك فكانوا مقيمين وأعقابهم به الى بعيد وفاة امير المؤمنين الرشيد (مات الرشيد في ثالث جمادى الآخرة سنة ١٩٣) ومن تنوخ هؤلاء ابو العلاء المعري الضرير الفيلسوف الكبير والشاعر الشهير والمفكر المنقطع النظير وهو احمد بن عبدالله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن احمد بن سليمان بن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن ربيعة بن انور بن اسحم بن ارقم بن النعمان بن عدي بن غطفان بن عمرو بن بريح بن جذيمة بن تيم الله بن اسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومنهم أمراء اللاذقية ممدوحو ابي الطيب المتنبي . ومنهم سراة وأعيان وعلماء وفقهاء لا يأخذهم الاحصاء في المشرق والمغرب وليس هنا موضع هذا البحث .

واما الأمراء التنوخيون الذين كانوا في بيروت وغرب لبنان فليسوا منهم . وانما اتحاد اسم تنوخ هو الذي غبّى على الاستاذ حتي وعلى من اخذ عنهم من الافرنج حقيقة الامر . فالتنوخيون اللبنانيون ليس لهم نسب الى تنوخ قضاعة . وانما هم بحسب ماينسبهم الناس وماينسبون أنفسهم من لخم لا من تنوخ الذين كانوا نصارى وأسلمت منهم جماعات في عهد الخلفاء الراشدين ثم في عهد العباسيين . وصالح بن يحيى المؤرخ احدهم الذي عاش في أواسط القرن التاسع للهجرة يسميهم « أمراء بني الغرب » نسبة الى الغرب المقاطعة التي كانوا يسكنونها من لبنان وهي مقاطعة الارسلانيين ايضاً كانت مقسّمة بين الفريقين . وماقيل لهم تنوخ الا نسبة لاحد اجدادهم تنوخ بن قحطان بن عوف بن كندة بن جندب بن مذحج بن سعد بن لحي بن تميم بن نعمان بن المنذر بن ماء السماء . وهي ماوية بنت عمرو لقبت بماء السماء لجمالها . والمنذر بن ماء السماء المذكور هو ابن امرئ القيس بن النعمان الاعور بن امرئ القيس المحرق بن عمرو بن امرئ القيس الاول بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن الحارث بن مالك بن غنم بن نمارة بن لخم بن عدي بن الحارث بن مرة بن ادد بن زيد ابن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . هكذا كما جاء في تاريخ صالح ابن يحيى ونقله عنه ابن سباط العاليهي ونقل عن هذا الامير حيدر الشهابي والشيخ طنوس الشدياق وغيرهم . واذا كان الاستاذ حتي لا يسلم بهذه النسبة الواردة في تاريخ صالح بن يحيى وغيره من تواريخ لبنان ولا يجدها دليلاً كافياً فليس لدينا دليل آخر يثبت عكسها ولا حجة على ان الامراء التنوخيين اللبنانيين هم من تنوخ قضاعة . والتواريخ لا تبنى على الظنون ولا على الخرص والحدس . وغاية مايقال ان في تاريخ صالح بن يحيى أغلاطاً . وربما لم تكن هذه النسبة كلها ثابتة بالتسلسل الذي هي عليه فإن هذه السلاسل القديمة وان كانت متواترة فإنه قد تواتر الخلاف ايضاً في كثير من رجالها . حتى ان النبي عليه الصلاة والسلام لما وصلت سلسلة النسب العدناني الى درجة معينة وقف وقال : كذب النسابون .

وسنسوق الى القارئ نسبة ملوك المناذرة كما هي واردة في تاريخ ابي الفداء وفي تاريخ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
- www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جرجي زيدان وفي تاريخ علي ظريف الاعظمي وفي تاريخ صالح بن يحيى التنوخي وفي سجل نسبنا الأرسلاني ونقابل بينها لنظهر ما بينها من الفروق التي وجودها لا ينفي صحة النسب من حيث الجملة . فان الاختلاف في بعض التفاصيل مع الاتفاق من حيث المجموع يزيد الثقة بدلاً من ان ينقضها او ينقصها .

كنت أرسلت الى الأخ المؤرخ المحقق سليمان بك ابي عز الدين المقابلة في سلسلة المناذرة بين سجل النسب الأرسلاني وتاريخ صالح بن يحيى التنوخي وتاريخ ملوك الحيرة لعلي ظريف الاعظمي البغدادي . فأرسل هو بالجدول الآتي . فوجدت مفيداً ان انقله :

« ملوك الحيرة اللخميين »

(ابو الفداء)	(جرجي زيدان)	(علي ظريف الاعظمي)
عمرو بن عدي	عمرو بن عدي	عمرو بن عدي
امرؤ القيس بن عمرو	امرؤ القيس بن عمرو	امرؤالقيس الاول بن عمرو
عمرو بن امريء القيس	عمرو بن امريء القيس	عمرو بن امريء القيس
اوس بن قلام العمليقي	اوس بن قلام	اوس بن قلام
ملك آخر من العماليق	لم يذكره زيدان	ولا الاعظمي
امرؤ القيس المحرق بن عمرو	امرؤالقيس المحرق بن عمرو	امرؤالقيس المحرق بن عمرو
النعمان الاعور بن امريء القيس	النعمان الاعور بن امريء القيس	النعمان الاعور بن امريء القيس
المنذر بن النعمان	المنذر بن النعمان	المنذر بن النعمان
الاسود بن المنذر	الاسود بن المنذر	الاسود بن المنذر
المنذر بن المنذر	المنذر بن المنذر	المنذر بن المنذر
لم يذكر احداً	النعمان بن الاسود	النعمان بن الاسود
علقمة الذميلي (لخمي)	علقمة ابو يعفر	علقمة بن مالك الذميلي
امرؤالقيس بن النعمان	امرؤالقيس بن النعمان	امرؤالقيس بن النعمان
المنذر بن امريء القيس	المنذر بن امريء القيس	المنذر بن امريء القيس

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(ابو الفداء)	(جرجي زيدان)	(علي ظريف الاعظمي)
الحارث بن عمرو بن حجر الكندي	الحارث بن عمرو بن حجر الكندي	الحارث بن عمرو بن حجر الكندي
عمرو بن هند	عمرو بن هند	عمرو بن هند
قابوس بن المنذر	قابوس بن المنذر	قابوس بن المنذر
لم يذكر	فيشهرت او زيد	فيشهرت او زيد
المنذر بن المنذر	المنذر بن المنذر	المنذر بن المنذر
النعمان بن المنذر	النعمان بن المنذر	النعمان بن المنذر
اياس بن قبيصة الطائي	اياس بن قبيصة الطائي	اياس بن قبيصة الطائي
زادوبه بن ماهان الهمذاني	زادوبه بن ماهان الهمذاني	زادبه او زادوبه بن ماهان الهمذاني
المنذر بن النعمان بن المنذر المغرور	المنذر بن النعمان المغرور	المنذر بن النعمان

هذه سلسلة الملوك اللخميين مع ذكر الذين تولوا خلال بعض فترات بامر الاكاسرة من غير ابناء البيت المالك . اما نسب الملوك اللخميين بحسب الاب والجد فينبغي ان يكون هكذا :

المنذر المغرور وهو المنذر الخامس من سنة ٦٢٨ الى سنة ٦٣٢
بن النعمان ابي قابوس وهو النعمان الثالث من سنة ٥٨٥ الى سنة ٦١٣
بن المنذر الرابع ≠ ٥٨٢ ≠ ٥٨٥
بن المنذر الثالث الذي أمه ماء السماء ≠ ٥١٤ ≠ ٥٦٣
بن امرئ القيس الثالث ≠ ٥٠٧ ≠ ٥١٤
بن النعمان الثاني ≠ ٥٠٠ ≠ ٥٠٤
بن الاسود (واما المنذر الثاني فهو اخوه) ≠ ٤٧٣ ≠ ٤٩٣
بن المنذر الاول ≠ ٤٣١ ≠ ٤٧٣
بن النعمان الاول الاعور ≠ ٤٠٣ ≠ ٤٣١
بن امرئ القيس الثاني ≠ ٣٨٢ ≠ ٤٠٣

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
- www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ابن عمرو الثاني	من سنة ٣٢٨	الى سنة ٣٧٧
ابن امرئ القيس الاول المحرق	« ٢٨٨	« ٣٢٨
ابن عمرو الاول ابن عدي اللخمي	« ٢٦٨	« ٢٨٨

فاذا نظرنا الى تاريخ صالح بن يحيى التنوخي نجده يذكر نسبهم الذي نقدم لنا سرده على ان جدهم تنوخ هو ابن قحطان بن عوف بن كندة بن جندب بن مذحج بن سعد بن لحي بن تميم .

ابن النعمان
ابن المنذر الذي أمه ماء السماء
ابن امرئ القيس
ابن النعمان الاعور
ابن امرئ القيس المحرق
ابن عمرو
ابن امرئ القيس الاول
ابن عمرو بن عدي اللخمي

فهكذا يكون نقص من السلسلة المنذر الرابع الذي يأتي قبل المنذر الثالث الذي أمه ماء السماء . ويكون النعمان الأعور هو النعمان الثاني ابن امرئ القيس مع انه يحسب التواريخ الاخرى هو النعمان الاول . ويكون نقص امرؤ القيس الثاني وعمرو الثاني . ويكون نقص ايضاً الاسود بن المنذر الاول . اي اربعة أجداد .

واما في سجل النسب الارسلاني فالترتيب هو هكذا : ارسلان بن مالك بن بركات ابن المنذر بن مسعود بن عون .

ابن المنذر المغرور (هو هنا الثالث لا الخامس)
ابن النعمان ابي قابوس (هو الثالث)
ابن المنذر (هو هنا الثاني)
ابن المنذر الذي أمه ماء السماء (هو هنا الاول)
ابن امرئ القيس (الثالث)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ابن النعمان الاعور (الثاني)
بن امرئ القيس (الثاني)
بن النعمان (الاول)
بن عمرو (الثاني)
بن امرئ القيس (الاول)
بن عمرو بن عدي اللخمي (الاول)

وهذه السلسلة تنقص اثنين عن سلسلة الاعظمي ليس فيها الاسود بن المنذر الاول ولا المنذر الاول ولكنها تجعل النعمان الاعور هو الثاني لا الاول كما هو في سلسلة الاعظمي . فهي من هذه الجهة متفقة مع سلسلة صالح بن يحيى . ولكنها تختلف عنها في ان سلسلة صالح بن يحيى ليس فيها الا منذر واحد وهو خطأ فظيع اذ لو لم يكونوا اكثر من واحد واثنين ما قيل لهم «المناذرة» . واما في سلسلة الاعظمي فالمناذرة خمسة منهم المنذر الثاني اخ للاسود بن المنذر الاول فيكون المناذرة الذين على عمود النسب اربعة . واما في سلسلة السجل الارسلاني فالمناذرة الذين على عمود النسب هم ثلاثة فقط . اما المنذر بن مسعود بن عون فهو ليس من ملوك الحيرة بل من أعقابهم الذين كانوا في الشام . وفي سلسلة صالح بن يحيى لا يوجد الا اثنان ممن اسمه النعمان احدهما ابو قابوس والآخر الاعور . واما في السجل الارسلاني فهم ثلاثة ابو قابوس فالنعمان الثاني الاعور فالنعمان الثالث وهذا كما في سلسلة الاعظمي والسلاسل الاخرى . وفي نسب عائلتنا ان النعمان الاعور تزهد وترك الملك وهو كما في تاريخ ابي الفدا وتاريخ الاعظمي . وفي سلسلة صالح بن يحيى ثلاثة اسمهم امرؤ القيس . وفي سجل نسبنا كذلك . وفي تاريخ ابي الفدا وتاريخ الاعظمي كذلك . وفي الجميع اثنان اسمهما عمرو . وهناك اختلاف في نسب ماء السماء أم المنذر الثالث التي لقبت بذلك لحسنها وجمالها واسمها الاصلي ماوية . ففي تاريخ ابي الفداء انها بنت عوف بن جشم . والاعظمي يقول انها بنت عوف بن جشم بن النمر بن قاسط . وصالح ابن يحيى يقول : « لقبت بذلك لجمالها واسمها ماوية بنت عمرو » ولا يرفع اكثر من ذلك وفي سجل نسبنا : « ماء السماء ماوية بنت ربيعة التغلبي اخت كليب والمهلهل لقبت بذلك لصفاء نسبها او لنقاء لونها » فهنا ايضاً اختلافات في الرواية لكنها لا تبطل النسبة من حيث

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
- www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العموم وانت لاتكاد تقرأ سلسلة آباء واجداد خصوصاً قبل الاسلام الا وجدت الروايات فيها متباينة اما بكثير واما بقليل . و يظهر من كلام صالح بن يحيى الذي ينقله عن شيوخ اهله انهم اي الامراء التنوخيون ينتسبون الى تميم بن النعمان ابي قابوس بن المنذر . ولكنه لايذكر شيئاً عن كيفية مجيئهم من الحيرة الى غرب لبنان ولا شيئاً من خبر تميم هذا ابن النعمان . ولم نجد في الكتب المشهورة ذكراً لولد من اولاد النعمان ابي قابوس اسمه تميم غير ان هذا لايمنع صحة الخبر لان الكتب المشهورة من كتب التاريخ لاتذكر كل شيء وكثيراً ماتُغفل اسماء اولاد ملوك كانوا في زمانهم اعظم من النعمان بن المنذر . وقرأت في سجل نسبنا انه مرّ بسواحل الشام محمد بن احمد بن ابي يعقوب بن هارون الرشيد العباسي . وانه نزل عند احد اجدادنا الامير النعمان بن الامير عامر بن الامير هاني الارسلاني وانه كان معه زوجه وبنوه . فأقام عنده زمناً غير قليل . وكان محدثاً عالماً فروى عنه جماعة من الامراء وغيرهم . ثم خطب منه النعمان ابنته السيدة كلثوم لولده الامير المنذر فأزوجه منها وأقامت معه زمناً طويلاً وهي أم ولده الامير تميم . وهـذه الحادثة في سنة ثلاثمائة واثنتي عشرة . ولما لم يكن لي عهد بذكر احد من اولاد هارون الرشيد اسمه ابو يعقوب تحيرت مدةً في هذه الرواية وما زلت متحيراً الى ان اطلعت على كتاب اسمه تاريخ الملوك يذكر اولاد هارون الرشيد كلهم ومن جملتهم ابو يعقوب . ثم رأيت ذلك في تاريخ ابي الفداء . اذاً عدم اطلاعنا على اسم احد اولاد الملوك في تاريخ ابن الاثير او ابن خلدون او الطبري او المسعودي لا ينفي انه وجد . بل قـد يغفل كثير من المؤرخين الكبار عن حوادث من اهم الحوادث وكثير من مترجمي الرجال عن تراجم أُناس من أحرى النـاس بالترجمة . افلا ترى كيف غفل ابن خلكان في وفيات الأعيان وهو رأس في هذا الفن عن ترجمة أُناس من اشهر الرجال الذين يستحقون الترجمة وذلك اما ذهولاً منه او لانه لم يقع لديه من الاخبار مايعول عليه . فقام محمد بن شاكر الكتبي والف كتاباً في تراجم من غفل عنهم ابن خلكان وسماه « فوات الوفيات » .

على ان الاعظمي يقول — ولا أعلم مصدر نقله — انه « لما قتل النعمان الثالث — ابو قابوس قتله كسرى ابرويز او مات في حبسه — صار احد اولاده بجملة من قبائل العرب ونزل بهم في سفح جبل لبنان وسكنوه مدةً وثبتت الامارة لاولاد النعمان وتوارثوه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

منهم الامير ظهير الدين الذي ولاه السلطان نور الدين ملك مصر والشام على سفح الجبل المذكور سنة ٥٥٦ الموافقة لسنة ١١٦٠ وضم اليه القنيطرة وبرج صيدا والدامور ووضع عنده فرساناً ورتب لهم راتباً وجعلهم لقتال الافرنج ومنهم الامير بدرالدين محمد المتوفى سنة ٧٩٨ وكلهم من نسل النعمان الثالث » .

وعليه يكون للنعمان الثالث ابي قابوس اولاد غير قابوس وغير المنذر المغرور . ولم يذكر المؤرخون منهم غير هذين لانهما اشتهرا في زمن النعمان فلما انقرضت دولة المناذرة بظهور الاسلام وذهب منهم ملك الحيرة لم يعن المؤرخون بذكر اولادهم . فكما ان التنوخيين ينتسبون الى تميم بن النعمان بن المنذر ينتسب الارسلانيون الى عون بن المنذر المغرور بن النعمان ابن المنذر . ومن هنا جاء التواتر الذي في جبل لبنان بان هذين الفخذين هما من اصل واحد ويزيد ذلك تأكيداً تجاور العائلتين في السكنى وتقاسمهما الاقطاعات من قرى ومزارع وارضين وكثيراً ما وقعت بينهما الفتن والعداوات بسبب المقاطعات . وقرأت في بعض مخطوطات لبنان القديمة ذكر الارسلانيين والتنوخيين وان منهما بيوتاً في عرمون وانها «على السيف» واذا قرأت تاريخ صالح بن يحيى التنوخي تجد انه يطعن في الارسلانيين في مواضع كثيرة ويذكر مناصبتهم العداء للتنوخيين . واذا ذكر احداً منهم بخير يقول مثلاً : « وفي ذلك الوقت قتل عماد الدين موسى بن حسان بن رسلان — كل من اسمه ارسلان فالعامة تخففه وتقول رسلان وهذا في كل محل — وكان المذكور خيراً من سلفه واجود منهم في حق البيت » فمقياس الجودة عند صالح بن يحيى هو حب البيت التنوخي . ومنشأ هذه الاختلافات كلها هو الاقطاعات والمنافسات على الامارة واذا قرأت تاريخ صالح بن يحيى وجدت شدة التشابك والتداخل بين اقطاعات التنوخيين والارسلانيين . فكلام الاستاذ حتي صحيح من جهة ان الامارة على الدروز لعهد الصليبيين كانت في يدي هاتين العائلتين . ولقد كانت هذه الامارة في غرب لبنان وبيروت من قبل ذلك التاريخ بكثير .

شكيب أرسلان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net